Al-Tarikh Va Al-Hazarah Al-Islamiya
Royato Mu'asirah
ISSN: 2783-5154
Islamic Sciences and culture Academy
Scientific-Specialized Bi-Annual journal
Vol. 3 ● No. 1 ● Winter & Spring ● 2023

Crisis Management of Shia Women in the Age of the Two Askari Imams

Najmeh Salehi[1] Nahid Tayyebi[2]

Received: 12/09/2023 Accepted: 15/11/2023

Abstract

Various crises may arise at any time and no society is immune from crises. In the era of Imam Hadi (AS) and Imam Hassan Askari (AS) there were also crises such as exile and imprisonment and lack of easy access to them, for which women have entered the field of action as hidden companions of the Imams (AS). The present study, via a descriptive-analytical method and the study of works in the past, seeks to answer the question, what measures did women think of in the age of the two Askari Imams (peace be upon them) to solve the crisis facing the Imams of their time? Therefore, after conceptualizing and stating the principles of crisis management, three examples of women's actions have been mentioned. The findings of this research suggest that, in the process of crisis management, Shia women have controlled crises well by knowing their weaknesses and limitations and played an essential role in restoring their families and society to normal.

Keywords

Imam Hassan Askari (AS), Imam Hadi (AS), Abbasids, Shia women, crisis management, The Occultation Age.

1. PhD student in history of Islam, Baqir al-Olum University, Qom, Iran (Corresponding author).
Salehi@hoda.miu.ac.ir Orcid: 0000-0002-0098-4869
2. PhD in Ahl al-Bayt History, Qom, Iran. Tayebi@hoda.miu.ac.ir Orcid: 0000-0001-8902-3556

* Salehi, N., & Tayyebi, N. (2023). Crisis management of Shia women in the era of the Two Askari Imams (peace be upon them). *Journal of Al-Tarikh va Al-Hadarah al-Islamiyah; Ruyat al-Mu'asirah*, 3(5), pp. 111-128. https://doi.org/ 10.22081/IHC.2024.75154.1030

التاريخ والحضارة الإسلامية
رؤية معاصرة
ISSN: ٢٧٨٣-٥١٥٤
مجلة علمية نصف سنوية
السنة٣ ● العدد١ ● شتاء وربيع ● ١٤٤٥ هـ

إدارة المرأة الشيعية للأزمات في عصر الإمامين العسكريين عليهما السلام

نجمة صالحي [١] ناهيد طيبي [٢]

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٠٩/١٢ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١١/١٥

ملخص

إنّ المجتمعات معرّضة للأزمات في كل زمان، ولا يوجد مجتمع في مأمن من المشاكل والتحدّيات. وقد برزت في عهد الإمامين العسكريّين عليهما السلام العديد من هذه التحديات من قبيل النفي والسجن وصعوبة الوصول إليهما، فبادرت المرأة لخوض غمار هذه الأزمات من أجل تذليل عقباتها وخدمة الأئمة عليهم السلام تحت عنوان الجندي المجهول. ويسعى هذا البحث من خلال منهج وصفي وتحليلي واعتماداً على دراسة المتون والمصادر المتقدّمة إلى الإجابة على سؤال: ما هي التدابير التي فكرت بها المرأة في عصر الإمامين العسكريين عليهما السلام لمواجهة التحدّيات التي عاشها إمام زمانها؟ ولذلك بعد شرح مفاهيم البحث وبيان مبادئ إدارة الأزمات، تمت الإشارة إلى ثلاثة أمثلة على تحركات المرأة في هذا الاتجاه. وتظهر نتائج البحث أن المرأة الشيعية نجحت في السيطرة على الأزمات وتمكّنت من إدارتها بشكل جيد من خلال معرفة نقاط الضعف والموانع والقيود، ولعبت دوراً أساسياً في إعادة أسرتها ومجتمعها إلى الحياة الطبيعية.

الكلمات المفتاحية

الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الإمام الهادي عليه السلام، العباسيون، المرأة الشيعية، إدارة الأزمات، عصر الغيبة.

١. طالبة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة باقرالعلوم عليه السلام، قم، إيران (الكاتب المسئول).
Salehi@hoda.miu.ac.ir Orcid: 0000-0002-0098-4869

٢. دكتوراه في تاريخ أهل البيت عليهم السلام، قم، إيران.
Tayebi@hoda.miu.ac.ir Orcid: 0000-0001-8902-3556

* صالحي، نجمه؛ طيبي، ناهيد. (٢٠٢٣م). إدارة المرأة الشيعية للأزمات في عصر الإمامين العسكريين عليهما السلام. مجلة التاريخ والحضارة الإسلامية؛ رؤية معاصرة، نصف سنوية علمية، ٣(٥)، صص ١١١-١٢٨.
https://doi.org/10.22081/IHC.2024.75154.1030

مقدمة

إن إدارة الأزمات تتمثّل في دفع الأمور بشكل هادف نحو مسار يمكن التحكم به، وتوقع عودة الأمور بسرعة إلى المسار السابق. وخلال الأزمات، فإن الفئة الأولى في المجتمع التي يجب أن تستشعر الخطر وتتخذ الإجراءات الحاسمة هم علماء الدين. ويمكن للقادة الذين لديهم القدرة على العمل تحت الضغوطات أن يقودوا مجموعة ما أو مجتمعًا بأكمله خلال التحديات نحو النجاح. وهناك حاجة ماسة لوجود أشخاص ذوي خبرة في إدارة الأزمات، حيث لا يمتلك الجميع القدرة على اتخاذ القرارات وردّ الفعل المناسب في حالات الأزمات.

في عصر الإمامين العسكريين عليهما السلام، أدت أزمة الضغوط والمضايقات التي فرضها الخلفاء العباسيون، وغياب الأئمة، وعدم وصول الشيعة المباشر إليهم إلى تحرك المرأة الشيعية والقيام باتخاذ إجراءات فعالة من خلال الفهم الصحيح للظروف والإدراك المناسب لنقاط الضعف والتهديدات. إن تحركات المرأة المناصرة للإمام استطاعت أن تخفف من حدة الأضرار إلى حد ما وتبعد الشيعة عن آثار الصدمة التي سببتها غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف و انتشار الانحرافات المذهبية ونحو ذلك.

وقد نشرت قبل هذا البحث بعض المؤلفات، لكنها لم تتناول عنوان هذا المقال بالتفصيل. فعلى سبيل المثال: كتاب جايگاه زنان در عرصه‌ي سياسي و اجتماعي از ديدگاه تشيع من تأليف إبراهيم خراساني پاريزي ومهوش فولادي، فبعد التعرّض لأصل منشأ التشيّع والتسنّن، والاستعمال التاريخي لمصطلح الشيعة، يقدم هذا الكتاب تعريفات مختلفة للشيعة، ثم يبحث في مكانة المرأة في التاريخ، والأسس النظرية لدور المرأة ومكانتها الاجتماعية ومشاركتها السياسية وأهمية هذه الأمور وضرورتها والآراء حولها. لكنّ دور المرأة الشيعية في إدارة أزمات عصر الإمامين العسكريين عليهما السلام لم يكن محلّ اهتمام البحث.

وفي أطروحة نقش زنان شيعه در ترويج و دفاع از باورهاي شيعي از دوره‌ي امام صادق عليه السلام تا پايان دوره‌ي غيبت صغري تأليف سعيدة رحيمي، ناقش البحث دور المرأة التربوي والدعوي والسياسي في فترة مائتي عام، وأشار بإيجاز إلى أزمات ذلك العصر.

وتأتي ضرورة إجراء هذا البحث من حيث تقديم نموذج إداري مُجرّب وناجح يُسهم في استمرار حياة المذهب الشيعي. إن إعادة قراءة النموذج الإداري للمرأة الشيعية في عهد الإمامين العسكريين عليهما السلام كجزء من المجتمع الشيعي يمكن أن يكون نموذجا مُلهماً لمديري اليوم وخاصة المرأة في كيفية إدارة الأزمات.

يهدف هذا المقال إلى الإجابة على سؤال: ما هي التدابير التي اتخذتها المرأة الشيعية في الأزمات التي عاشتها؟ ولذلك، وبعد تبيين المفاهيم وتحديد أصول إدارة الأزمات، يشير المقال إلى ثلاثة أمثلة لإدارة المرأة الشيعية للأزمات، وهي المقاومة، والهجرة، والاستعداد لعصر الغيبة.

١. المفاهيم

١-١. الإدارة

الإدارة هي عملية الاستخدام الفعال والمثمر للموارد المادية والبشرية في التخطيط والتنظيم وتعبئة الموارد والإمكانات، والتوجيه والسيطرة، والتي يتم القيام بها لتحقيق الأهداف التنظيمية وعلى أساس نظام قيم مقبولة (رضائيان، ١٣٩٥ ش، ص ٦). فالإدارة الناجحة تتخذ القرارات المناسبة وتحقق النتائج المرجوة.

١-٢. الأزمة

"الأزمة" هي معنى الكلمة اللاتينية "krisis" ويعادلها في الإنجليزية كلمة "crisis". وتعني بلغة بسيطة وقت الخطر أو الاضطراب (باقري، مجلة انديشه صادق، ص ٣٣).

الأزمة هي مزيج من الفرص والتهديدات. وفي الواقع، فإنها لحظة اتخاذ القرار الصحيح في ظروف مفاجئة وغير متوازنة. يساعد هذا التعريف على النظر إلى الأزمة من وجهة نظر إدارية واعتبار كل أزمة بمثابة مجال للتدبير واتخاذ القرارات (مزيج من الفرص والتهديدات).

١-٢-١. المبادئ الهامة في إدارة الأزمات

يواجه كل مجتمع أو منظمة أو جماعة عادة عدة أزمات خلال مسار حركته، وللسيطرة عليها لا بد من تحديد نقاط القوة والضعف والتهديدات والفرص. ومع الإدارة الصحيحة، يمكن تقليل الخسائر المحتملة وتحقيق النتيجة المرجوة.

يجب في إدارة الأزمات تحقيق الاستجابة المناسبة للقضاء على الظروف غير الطبيعية والاستثنائية، وذلك بشكل يتم من خلاله تأمين القيم المهمة والحفاظ عليها، ولذلك فإنّ هناك مبادئ تجب رعايتها وهي:

١-٢-١-١. مبدأ التنظيم

ومن أجل تحقيق راحة البال، ينبغي توظيف المدراء الذين يستخدمون نموذجاً متماسكاً في إدارة الأزمات لتنظيم الأمور وتوجيهها. التنظيم عبارة عن تقسيم العمل بين الأشخاص ومجموعات العمل من جهة، وتنسيق حركة الأفراد داخل المجموعة من جهة أخرى. وعندما يتم استخدام الموارد بشكل صحيح ويكون هناك توزيع مناسب للعمل بين الأعضاء، يمكن للإدارة زيادة فاعليتها وأداء المزيد من الأنشطة. وبهذه الطريقة يمكن للمنظمات مواجهة التحديات بسهولة وتوسيع أنشطتها بطريقة مدروسة.

١-٢-١-٢. مبدأ التوجيه والقيادة

وهنا يكون القائد مشاركاً في الأزمة بشكل مباشر وغير مباشر، ومن خلال

إشرافه على أداء طاقم العمل فإنه يمنع أي انحراف عن الأهداف الرئيسية لإدارة الأزمة عبر تحديده للأهداف. لم يكن المجتمع الإسلامي في عهد رسول اللهﷺ منقسماً، وكان التشيّع والإسلام شيئاً واحداً، ولكن بعد وفاته تعرض المجتمع الإسلامي لأزمة وحدثت فجوة بين حزب أنصار ولاية أميرالمؤمنينعليه السلام وحزب الخلافة. لقد عرف المجتمع الشيعي ثلاثة أنواع من الأنظمة السياسية حتى زمن الإمامين العسكريينعليهما السلام: النظام السياسي في عهد الخلفاء، والعهد الأموي، والعهد العباسي، والتي كانت سمتها المشتركة معاداة الشيعة. ومن ناحية أخرى فإن أزمة غيبة الإمام وخلق فجوة في الأفكار الثقافية والاجتماعية أبطأت حركة المجتمع الشيعي نحو أهداف الإسلام، ولهذا السبب كان لا بد من إيجاد الحلول المناسبة للخروج من هذه الأزمة.

إنّ المسلمين الذين اعتادوا وجود الأئمةعليهم السلام وعاشوا في ظلّ توجيهاتهم لمدة ٢٥٠ سنة، كانت غيبة الإمام الثاني عشرعجل الله فرجه الشريف مسألة جديدة قد تؤدي إلى انحرافهم فكرياً وعقدياً. ومع التمهيد الذي مارسه الأئمة السابقون لذلك، كان لا بدّ من اتّخاذ إجراءات في زمن العسكريينعليهما السلام بغية تنبيه الناس قبل وقوع الأزمة.

وفي هذه المرحلة أصبح التخطيط أهم ركائز إدارة الأزمة لدى الأئمةعليهم السلام. فقد وضعوا تصورات وخطط تمهيداً لحقبة غياب الإمام، وفكروا في حلول عملية لذلك من قبيل نظام الوكالة وتربية وإعداد التلاميذ وما شابه ذلك (جباري، ١٣٨٢، ص ٤٧).

إن التخطيط لإجراءات السيطرة على الأزمات، والاستعانة بالأنصار المخلصين والثقات، وتشكيل فريق لإدارة الأزمات، كانت لدى الأئمةعليهم السلام من المسائل المهمة في نموذج إدارة الأزمات. وكان تحقيق النموذج الإنساني المنشود أحد أهداف المذهب الجعفري، وقد بذلت المرأة الشيعية باعتبارها موضع ثقة المعصومينعليهم السلام جهوداً كبيرة لتحقيق هذا الهدف بما يتماشى مع أهداف حزب

الولاية. وبالتوجيه الفكري والسياسي الصحيح، إضافة إلى الحفاظ على هوية مدرسة التشيّع، تمكنت من إدارة الأزمة العقائدية الناجمة عن صعوبة الوصول إلى الإمام.

١-٢-١-٣. المرأة الشيعية في عصر العسكريين عليهما السلام وإدارة الأزمات

إنّ الرّقابة والتحكم الممارس على الامام الهادي عليه السلام والامام الحسن العسكري عليه السلام في عهد إمامتهما، وكذلك الإقامة الجبرية في سامراء والسجن والاستدعاء الأسبوعي، تدلّ جميعها على الضغط الشديد على المعصومين عليهم السلام. قام الحكام العباسيون بالبحث والتحري الدقيق للعثور على ابن الإمام الحسن العسكري عجل الله فرجه الشريف. ففي بعض الأحيان كانوا يداهمون بيت الإمام فجأة للتحقيق، وأحياناً كانوا يرسلون جواسيس على أنهم خَدَم (العاملي، ١٤٢١هـ، ج٦، ص ٢١٧).

عندما مرض الإمام الحادي عشر، تم إرسال عدد من الأطباء وعشرة أشخاص ممّن يثق بهم الخليفة إلى منزل الإمام، وأمروا بالبقاء هناك ليلًا ونهارًا، كما طُلب منهم مراقبة الإماء ليتبيّنوا مسألة حملهن (الكليني، ١٣٦٩، ج١، ص ٥٠٦؛ الطبرسي، ١٣٧٧، ص ٣٥٩).

جعلت هذه الظروف من المرأة الخيار الأفضل للعمل السرّي والتواصل بين الإمام عليه السلام وأتباعه، فقامت ببذل قصارى جهدها للتغلب على التحديات الطارئة بالاستفادة من تعاليم وتوجيهات المعصومين عليهم السلام. ومن خلال إدراكها للوظيفة الملقاة على عاتقها وتقييمها المناسب لكيفية حفظ الإسلام والتشيع، اتخذت التدابير المناسبة للحد من المخاطر. كانت نساء الشيعة بعد الإمام عليه السلام خير ملجأ للشيعة الذين يرجعون إليهنّ بغية معالجة المشكلات الناشئة عن الغيبة وغيرها، وكنّ من أهم المراكز الحاسمة في إزالة الشكوك حول خليفة الإمام العسكري عليه السلام وتحديد الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف.

١-٣. إدارة المرأة الشيعية للأزمات

يتم البحث حول إدارة المرأة الشيعية للأزمات في عهد الإمامين العسكريين عليهما السلام في ثلاثة مجالات: المقاومة، والهجرة، والاستعداد لعصر الغيبة:

١-٣-١. مقاومة المرأة الشيعية في عصر الإمامين العسكريين عليهما السلام

إنّ الحل القرآني للأزمات هو الثبات (١) (الروم، ٦٠) وإنّ الوعد بالنصر الأكيد إنما هو للمجاهدين والمقاومين، ولو كان طريقهم مليئاً بالعقبات. فالمسلم الولائي يحتاج إلى شخصية قوية في الأزمات، وهو ما أشارت إليه الآية القرآنية بحق حيث يقول تعالى "إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ". (الأحقاف، ١٣).

إن استحضار واستلهام سيرة السيدة زينب عليها السلام بأكملها، وخاصة سلوكها وتدبيرها الحكيم في حادثة عاشوراء، ومن ثمّ أحداث أسرها، هو خير مثال على صمودها ونجاحها في السيطرة على الأزمة. وكذلك ثابرت المرأة الشيعية في عصر الإمامين العسكريين عليهما السلام على نموذج المقاومة الأسمى زينب عليها السلام في سبيل الحفاظ على الدين والحفاظ على حياة إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو ما يشهد عليه التاريخ.

"حكيمة خاتون" و"حديث" من أقارب الإمامين عليهما السلام، وشهدتا ولادة إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، كانتا من النساء المقاومات في الحزب الولائي. وكذلك جارية "علي الخيزراني" التي أهداها للإمام العسكري عليه السلام، (الصدوق، ١٤٠٥هـ، ص ٤٣١). وأيضاً "غزال" أو "زلال" (الصدوق، ١٤٠٥هـ، ص ٥١١). والقابلة التي أقامت بجوار والدة الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف بناءً على طلب الإمام العسكري عليه السلام، جميعهنّ أصبحن حافظات سرّ الإمامة (٣) (الطوسي، ١٤١١هـ، ص ٣٤٠).

كما نجحت خادمات الإمام في حفظ أسرار بيته الداخلية، ورغم أن "نسيم" و"ماريا" شهدتا عياناً على ولادة الإمام المهدي، إلا أنهما أخفيتا ذلك الحدث المهم من أجل إنقاذ حياة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف (الصدوق، ١٤٠٥هـ، صص ٤٤١-٤٣٠) وعند

استشهاد الإمام العسكري عليه السلام؛ رُوي عن "صيقل" (نرجس خاتون) إحدى جواريه موقفان يدلان على سلوكها المقاوم:

١. كتب الإمام عليه السلام ليلة استشهاده رسائل كثيرة إلى أهل المدينة، وكانت "صيقل" في ذلك الوقت حاضرة إلى جانبه (القمي، ١٣٦١، ص ١٩٤٤).

٢. وحفاظاً على أسرار بيت الإمام؛ وللحدّ من مضايقة رجال السلطة العباسية لخادمات الإمام ولتضليلهم، ادّعت صيقل الحمل بإيثار، فاقتادوها إلى قصر المعتمد العباسي. وتعهدت إماء "المعتمد العباسي" وإماء القاضي "ابن أبي الشوارب" بمراقبتها بشكل متواصل. واستمرت هذه الرقابة حتى قيام "يعقوب بن الليث الصفار" ومات "عبيد الله بن يحيى بن خاقان" فجأة؛ وثار "صاحب الزنج" في "البصرة". فصرفتهم هذه الأحداث عنها (الصدوق، ١٤٠٥ق، ص ٤٧٢).

تمكنت هذه النسوة من الحفاظ على حياة ولي الله، وأدَرن تحدي عصر الغيبة بشكل صحيح من خلال الفهم الصحيح للمناخ السياسي في عصرهن والمحافظة على سرّية ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. وحتى بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، فإن الإعلان عن ولادة الإمام المهدي ساعد على إزالة بعض الشبهات من قبيل عدم وجود الحجة، أو عدم ولادته وغيرها من الحالات، ممّا ساعد على التخفيف من الحيرة الناشئة عن الغيبة.

١-٣-٢. هجرة السيدة حديث في عهد الإمامين العسكريين عليهما السلام

إنّ الهجرة في المفهوم الإسلامي تساوق مبدأ الجهاد، وتكون آثارها ونتائجها تحقيقاً لأهداف الإسلام ومثله العليا. أحياناً تكون الهجرة مثل هجرة الإمام الرضا عليه السلام من المدينة المنورة إلى "مرو" تمهيداً للظهور، وعاملاً في التقدم والتطور وبناء الحضارة. وكان أحد أساليب مواجهة القضايا السياسية والاجتماعية هو الهجرة والتوزّع الجغرافي للشيعة في مختلف البلدان الإسلامية (الحراني، ١٤٠٤هـ، ص ٤٧٧، القزويني، ١٣٧٣، ص ٥١).

وفي عصر الإمام العسكري عليه السلام كان العباسيون يسعون بجد لمنع ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وكانوا يراقبون عائلة الإمام عليه السلام باستمرار. ولذلك كان لا بد من اتخاذ إجراءات عملية لإنقاذ حياة إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف وتجنب خطر قتله، والاستعانة بالأشخاص الذين هم أبعد عن الرقابة وأقل عرضة للخطر. وكانت النساء، وخاصة السيدة "حديث" هي الخيار الأفضل. وبحسب الروايات فإن الإمام الحسن العسكري عليه السلام نعى خبر استشهاده إلى السيدة "حديث" (الصفار القمي، ١٤٠٤هـ، ص ٤٨٢).

ومن خلال إدراكه للظروف القائمة قام الإمام العسكري بتعيين والدته وصياً له، وعهد إليها بالوصي الإلهي الأخير، وأخرج صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف من سامراء إلى مكة مع السيدة حديث. وهكذا نجح الإمام العسكري عليه السلام بتوفير الظروف اللازمة لدفع الضرر المحتمل من خلفاء بني العباس، واستمرار الولاية.

توجهت السيدة حديث سنة ٢٥٩هـ. مع الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف إلى مكة (محلاتي، ١٣٤٩، ص ٢٤). وأرسل الإمام الحادي عشر عليه السلام معهم "أبا علي أحمد بن مطهر" أميناً وحارساً، وأخيراً وصلت قافلة الحج إلى مكة بسلام (الكليني، ١٣٦٩، ج١، صص ٥٠٧-٥٠٨).

ذهبت السيدة حديث إلى المدينة المنورة بعد أداء مناسك الحج، وقامت بإخفاء الحجة عجل الله فرجه الشريف هناك. والدليل على ذلك هو الحديث المروي عن الإمام الحادي عشر عليه السلام رداً على سؤال "أبي هاشم الجعفري" عن خلَفه، فذكر الإمام فيها أنّ محل اختفائه هو المدينة (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٥١، ص ١٦١). ولم يعلن عن خليفة لنفسه بشكل علني قط، لأنه كان يدرك جيداً الخطر الذي سيواجه ابنه إذا بقي في العراق (جاسم حسين، ١٣٨٥، ص ١٢٤). ونستفيد من المطالب المذكورة أعلاه ما يلي:

١. أنّ المدينة المنورة كانت قاعدة شيعية مهمة ويتواجد فيها الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام.

٢. أنّ المدينة المنورة كانت مكاناً آمناً لابن الإمام الحسن العسكري عجل الله فرجه الشريف.

٣. أنّ السيدة حديث – كالإمام العسكري - لم تكن في مأمن من رقابة العباسيين المباشرة في سامراء، مما دفع بها إلى الهجرة.

٤. إنّ رعاية الإمام والعناية به يحكي عن تضحية هذه السيدة وتعاونها مع الإمام المعصوم عليهم السلام في المواقف الحرجة، ويؤكد على نكتة هامّة وهي أنها الشخص الوحيد الذي يمكنه القيام بهذه المسؤولية الخطيرة بالمحافظة على حياة إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ودرء الأخطار المحتملة.

٥. لقد جعل الإمام العسكري عليه السلام السيدة حديث وصية له من باب التقية، للتخفيف من المحاولات المستمرة للعثور على الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٦. وبما أن شبكة وكلاء الأئمة عليهم السلام كانت نشطة في مناطق إسلامية مختلفة، وكان الوكلاء هم جسر التواصل بين الشيعة والإمام معصوم عليهم السلام، فإن الاحتمال كبير أن تكون السيدة حديث واحدة من وكلاء الإمام العسكري عليه السلام في المدينة المنورة.

٧. تم استدعاء الإمامين العسكريين عليهما السلام قسراً إلى سامراء، وخضعا هناك لرقابة وإشراف مشدّدين حتى نهاية حياتهم، لذلك لم يتمكنوا من ممارسة نشاط اقتصادي في سامراء، ومن جهة أخرى تعتبر المدينة المنورة مدينة أهل بيت النبوة وأحد مصادر دخلهم الاقتصادي (صفري فروشاني و اخلاقي، معصومة، ١٣٩٣، ص ٩٦). ولذلك فمن المحتمل أن يكون أحد أسباب إرسال السيدة حديث إلى المدينة المنورة هو إدارة الأمور الاقتصادية وتلقي الحقوق الشرعية.

١-٣-٣. تمهيد المرأة الشيعية لعصر الغيبة في عهد الإمامين العسكريين عليهما السلام

إن كثرة الأحاديث حول الغيبة (٤) واستعمال فكرة المهدوية من قبل بعض الفرق، كالكيسانية والزيدية والعباسيين يشير إلى استمرار حركة المهدوية وعدم غرابته في زمن الإمام العسكري عليه السلام. فقد وردت أحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن الخلفاء الاثني عشر ووجود مصاديقهم، وكذلك الروايات

التي تتحدث عن تحقيق العدالة العالمية على يد الخليفة الثاني عشر، مما دفع أعداء الإمام إلى تطبيق استراتيجية لمنع أي ولادة في دار الإمام العسكري عليه السلام، وذلك من خلال المراقبة الدقيقة لسيدات البيت العلوي وإمائه (الصدوق، ١٤٠٥هـ، ص ٤٣).

إن الغيبة غير المتوقعة للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف كان يمكن أن تحمل معها عواقب وخيمة جداً على معتقدات الشيعة وتؤدي إلى ضلالهم. لذلك؛ ومع اقتراب موعد الغيبة؛ تزايدت الحاجة إلى تهيئة الظروف لهذه القضية المصيرية. كما أنّ تجربة تاريخ الأنبياء وسيرة المعصومين عليهم السلام والتي تجري بحسب السنن الإلهية؛ تعتمد نهجاً تتمّ من خلاله الحجة على الجميع، وهو أنه كلما كانت هناك قضية حاسمة وهامّة أمام المجتمع؛ فإنّ المجتمع يُحضّر لها قبل مدة من الزمان عبر تهيئته عملياً وفكرياً لمثل هذه التطورات في الأجيال المتعاقبة. ومما لا شك فيه أن قضية غيبة الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف هي إحدى هذه الأحداث في تاريخ البشرية ومن أهمها (الحيدري، ١٣٩٠، ص ٢١٤). ومع بداية فترة الغيبة الصغرى، أحدثت مسألة الإمامة صراعاً بين الشيعة، وكثر المطالبون بالإمامة، في حال لم يكن لأيّ منهم دليل على ادّعائه ومخالفة الآخرين، سوى الميراث والوصية. وقد تحدث "الأشعري" عن مذاهب مختلفة ظهرت بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، ومن بينها المذهب الإمامي (الأشعري القمي، ١٣٦٠، ص١٢٣). ويزعم "النوبختي" أن الشيعة بعد الإمام الحادي عشر عليه السلام انقسموا إلى أربع عشرة فرقة، وانتحلت بعض فرق الشيعة الإمامة زوراً كالواقفية والمحمدية والنفيسية (النوبختي، ١٤٠٤هـ، ص ٩٦).

وكان "جعفر بن علي" الملقب بـ "جعفر الكذاب" يُعدّ من أشد المطالبين بالإمامة بعد أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام. ويقول عنه الشيخ المفيد رحمه الله: "وكان جعفر رجلاً فاسقاً، فاجراً، سكيراً، وكان من أسوأ الناس، وأدناهم شرفاً، وأقلهم عقلاً" (المفيد، ١٤١٣هـ، ص ٦٥٨). وبعد استشهاد الامام العسكري عليه السلام

كان له دور في حبس جواريه. وكان يشتم أصحاب الامام عليه السلام ويتكلم فيهم بالسوء. لأنهم كانوا ينتظرون رؤية ابن الإمام عليه السلام ويقولون بأنهم متأكدون من وجود ولد له (المفيد، ١٤١٣هـ، صص ٣٢٤ و ٣٣٦، الطوسي، ١٤١١هـ، ص ١٠٦).

وجاء في بعض الروايات التاريخية أن ادعاء جعفر للإمامة كان بعد وفاة أخيه "محمد". كما ذكرت بعض المصادر أنه ادعى ذلك بعد أخيه الحسن العسكري عليه السلام. ويرى آخرون أن ادعاء جعفر للإمامة كان بعد أبيه علي بن محمد عليهما السلام (الصدوق، ١٤٠٥هـ، صص ٣٧٣-٣٧٥؛ المفيد، ١٤١١هـ، صص ٣١٩ و ٣٢١). وبعد استشهاد الإمام الحادي عشر عليه السلام طلب جعفر الكذاب أن يصلي على جثمان أخيه بحجة أنه وارثه والإمام ممن بعده. كما طلب من "عبيد الله بن يحيى بن خاقان" اعتراف الدولة العباسية بمنصب الإمامة له وملكيته لأموال أخيه (الراوندي، ١٤٠٩هـ، ج٣، صص ١١٠٣-١١٠٥.) مع أن الأئمة عليهم السلام أكدوا مراراً على أن الأخ لا يرث مع وجود الأم (الصدوق، ١٤٠٥هـ، صص ٣٧٣-٣٧٥).

وأمام ادعاءات جعفر الكاذبة، لم تصمت نساء الشيعة، ووقفن في وجهه. فعلى سبيل المثال، رفضت السيدة حديث دعواه بميراث الأموال (الصدوق، ١٤٠٥هـ، ص ١٤٩). ومن المحتمل بشدة أنّ السيدة حكيمة خاتون ساعدت السيدة حديث في هذا المسعى؛ ولكن لم يَرِد خبر واضح عن هذا التعاون.

وتم تقسيم ميراث الإمام العسكري عليه السلام بعد سبع سنوات بين جعفر وأم الإمام أو أخته (النوبختي، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٥، الأشعري، ١٣٦٠، ص ١٠٢). وكانت السيدة حُدَيث والسيدة حكيمة خاتون في جهة؛ وجعفر الكذاب وشقيقته عليّة (عائشة) في الجهة الأخرى من هذا التقسيم للميراث. ولم يرد كون أخت الإمام عليه السلام أيضاً وريثة له إلا في بعض مصادر أهل السنة (الذهبي، ١٤١٣هـ، ج١٣، ص ١٢١). والظاهر أنه وبالرغم من مثابرة هذه السيدات وإصرارهن في سبيل تنوير عقول المسلمين، إلا أن السلطات الحاكمة أصدرت حكمها لصالح جعفر.

وتفيد التقارير التاريخية السابقة بما يلي:

١- إن استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف تسبب في طمع ووقاحة رؤساء الفرق المنحرفة لتولي منصب الإمامة.

٢- في بداية عصر الغيبة، ازداد حجم الاضطراب والقلق والحيرة والشك في المجتمع، وزاد في ذلك أيضاً تصرفات جعفر الذي يعدّ أحد أقرباء الإمام الحادي عشر عليه السلام.

٣- إن كون الشخص علوياً ونسبته العائلية لا يشكل بالضرورة دليلاً على أنه شيعي اثني عشري. وكان يسكن في سامراء بعض العلويين الذين لا علاقة لهم بالولاية، بل كانوا أحياناً يحملون العداء، ويعملون لخدمة مصالحهم الشخصية، ويتصرّفون بما يضرّ بالشيعة.

٤- أدّى حب الجاه والسلطة وغيبة إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف إلى إثارة أطماع الانتهازيين، وخاصة جعفر شقيق الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٥- رجوع جعفر الكذاب إلى الحاكم العباسي دليل على جهله بأحكام الشرع وحاجته إلى غيره، وهذا الضعف كاشف عن عدم أهليته لمنصب الإمامة.

٦- ساعد نظام الخلافة جعفر الذي لم يكن يشكل تهديداً كبيراً للحكم، على تشتيت انتباه بعض الشيعة الذين كانوا يبحثون عن الإمام الحقيقي، وذلك بهدف تفرقتهم.

٧- بالرغم من عدم وجود أخبار واضحة عن تحركات النساء الشيعيات سوى عمل السيدة حديث، إلا أنه من المحتمل أنهن قمن بمساعدتها.

نتيجة البحث

يحتاج المجتمع الشيعي من أجل الحفاظ على استمراريته وحركيّته إلى المرأة كجزء من النظام الاجتماعي. ويشهد التاريخ للمرأة أنها عندما وُضعت في مكانها المناسب، استطاعت أن تكون سفيرة ومرشدة للمجتمع بإيمانها بنفسها وبحسن

تدبيرها. ومن هؤلاء النسوة السيدة حكيمة خاتون والسيدة حديث وفاطمة الزهراء عليهن السلام العالمات والمجاهدات والمقاومات، اللاتي ارتوين من منبع الإسلام الصافي، ونشرن هذه القيم بين الناس.

يُظهر تحليل أسلوب حياة الأئمة عليهم السلام أن إسناد الأدوار المختلفة في المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية ونشر المذهب الشيعي لم يكن خاصاً بالرجال من أصحاب الأئمة. وفي أوقات الأزمات عندما كانت الرقابة مشدّدة على الرجال، كانت المرأة هي من دخلت الميدان وساعدت على تخطي مشكلة عدم إمكانية الوصول إلى المعصومين. وبإدراكها الصحيح لنقاط الضعف والتهديدات؛ حولت الأزمة إلى فرصة، وعبرت بالشيعة إلى شاطئ الأمان من الشكّ والحيرة.

إن وجود المرأة الشيعية في المجتمع وبصيرتها السياسية يمكن أن يظهر صمودها الاجتماعي، ويعتبر أنموذجاً تاريخياً لنوعية حضور المرأة المعاصرة في المجتمع والتي هي من مصاديق المقاومة الإسلامية. وكانت الهجرة وإعداد الشيعة لعصر الغيبة من الإجراءات الأخرى التي اتخذتها المرأة في سبيل تحقيق أهداف الإمام والطائفة الشيعية. وبالطبع فإن البحث في استراتيجيات المقاومة وطريقة التفاعل مع المجتمع الشيعي والإدارة الثقافية والاجتماعية للمرأة يحتاج إلى بحث آخر.

ملحقات

١- وفي هذه الآية يأمر الله النبي صلى الله عليه وآله أن يقف في وجه الكافرين الذين يكذبون الحق ويعدّونه باطلاً، لأن الله وعد بالنصر، ووعد الله حق، وسيَفي به لا ريب. وتكمن أهمية الآية في أنّ الله وعد في أول السورة بانتصار الروم وأوفى بوعده، والآن يعد بانتصار المسلمين على أعدائه، ومن خلال سرده لقصة الروم، يريد أن يُفهم المسلمين أن الله سيحقق وعده حتماً (القصص، ٥) "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ". هذه الآية هي نفس الآية الشهيرة التي تبشر بظهور حجة الله صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ذلك الظهور

الذي يشكّل بداية إقامة الحضارة الإسلامية العظيمة في أرجاء العالم.

٢- جاء في رواية تاريخية حول تأكيد ولادة الإمام أن عدداً من النساء العلويات ومعهن محمد بن القاسم العلوي سألوا حكيمة خاتون عن ولادة الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف، فأجابت: أجئتم لتسألوا عن ولادة ولي الله؟ قلنا: والله نعم! (طبري، ١٤١٣ق، ص ٤٩٩). إن استخدام تعبير "ولي الله" في كلام حكيمة خاتون يدل على أنّ البحث كان جادّاً وحثيثاً عن الوريث الحقيقي للإمام الحادي عشر عليه السلام، ويبين أن السيدة حكيمة كانت على دراية وعلم بالزمان والمكان، ومُدركة لحيرة الشيعة، وبشجاعة منقطعة النظير، وبالتعاون مع غيرها من النساء، استطاعت حلّ مختلف العقد الفكرية والعقائدية.

٣- اعتبر مؤلف كتاب "يوم الخلاص" هذه المرأة ناصبية، لكنّ نص كلام الشيخ الطوسي في الصفحة ٣٤٠ من كتاب "الغيبة" لا يفيد ذلك، وإنّما يدل على اعترافها بقيمة ومصداقية أهل البيت عليهم السلام، وربما كانت تمارس التقيّة، غير أنّ محبّتها لأهل البيت عليهم السلام تبدو مؤكدة.

٤- إنّ أحاديث غيبة المهدي عجل الله فرجه الشريف وخروجه الكثيرة والمروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام كانت متاحة لعامة المسلمين، مما يدل على أن المسألة كانت محل اهتمام جميع المعصومين، وقد أكدوا جميعاً عليها. وبغض النظر عن روايات رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد وردت أحاديث عن كل إمام في مختلف جوانب الغيبة والمهدوية وأمثال ذلك، ما يبلغ في مجمله أكثر من ستمائة حديث، مما يدل على قيمة المهدوية في التراث الروائي والديني الشيعي. ويعود ذلك إلى أنّه بعد وفاة كل إمام أو حتى في حياته، كانت ادعاءات المهدوية تظهر على الساحة. إن مسار البحث الذي أثاره الأشعري والنوبختي حول الفرق الشيعية يُظهر أن المهدوية كانت أهم أسباب تشعّب فرق الشيعة، حيث أن الأمر كان يشتبه على بعض أصحاب المعصومين ويقولون بمهدوية بعض الأئمة عليهم السلام (جعفريان، ١٣٨١، ص ٥٧٥).

فهرس المصادر

* القرآن الكريم.

١. الأشعري القمي، سعد بن عبد الله. (١٣٦٠). المقالات والفرق. طهران: مؤسسة «علمي و فرهنگي» للطباعة والنشر.

٢. الأمين الحسيني العاملي، السيد محسن. (١٤٢١هـ). أعيان الشيعة. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

٣. باقري، مصباح الهدى. (١٣٨٠). جنبه‌هايي از مديريت بحران پيامبر أكرمﷺ. مجلة انديشه صادق، رقم ٣ و ٤، صص ٣-٢١..

٤. جاسم حسين، محمد. (١٣٨٥). تاريخ سياسي غيبت إمام دوازدهمعج (المترجم: السيد محمد تقي آيت اللهي). طهران: أمير كبير.

٥. جباري، محمد رضا. (١٣٨٢). سازمان وكالت زمينه‌ها و عوامل تشكيل وگسترش سازمان وكالت. قم: معهد الإمام الخميني للتعليم والبحوث (مؤسسة آموزشي و پژوهشى إمام خمينيره).

٦. جعفريان، رسول. (١٣٨١). حيات فكري و سياسي امامان شيعةع. قم: منشورات أنصاريان.

٧. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول. (١٤٠٤هـ) (المحقق: علي أكبر غفاري، الطبعة الثانية). قم: النشر الإسلامي.

٨. حسون، محمد؛ مشكور، أم علي. (١٣٣٨هـ). أعلام النساء المؤمنات. طهران: دار الأسوة للطباعة و النشر.

٩. الحيدري، محمد حسن. (١٣٩٠). شكوه سامرا (مجموعة مقالات عن الإمام الهادي و الإمام العسكري٨). طهران: جامعة الإمام الصادقع.

١٠.الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (١٤١٣هـ). تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام (المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الطبعة الثانية). بيروت: دار الكتاب العربي.
١١.الراوندي، سعيد بن هبة الله. (١٤٠٩هـ). الخرائج و الجرائح. قم: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.
١٢.رضائيان، علي. (١٣٩٥). اصول مديريت. طهران: سمت.
١٣.الصدوق، محمد بن علي. (١٤٠٥هـ). كمال الدين و تمام النعمة (المحقق: علي أكبر غفاري). قم: منشورات جمعية مدرسي الحوزة.
١٤.الصفار القمي، محمد بن الحسن. (١٤٠٤هـ). بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلوات الله عليهم. قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي رحمه الله.
١٥.صفري فروشاني، نعمة الله، أخلاقي، معصومة. (١٣٩٣). حيات اقتصادي امامان از صلح امام حسن عليه السلام تا آغاز غيبت صغري. قم: مركز البحوث التابعة للعتبة الرضوية.
١٦.الطبرسي، الفضل بن الحسن. (١٣٧٧). إعلام الورى بأعلام الهدى. طهران: مكتبة الإسلامية.
١٧.الطبري، محمد بن جرير بن رستم. (١٤١٣هـ). دلائل الإمامة. قم: البعثة.
١٨.الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤١١هـ). كتاب الغيبة (المحقق: عباد الله طهراني وعلي أحمد ناصح، الطبعة الأولى). قم: دار المعارف الإسلامية.
١٩.القزويني، زكريا بن آدم. (١٣٧٣). آثار البلاد وأخبار العباد. طهران: أمير كبير.
٢٠.القمي الحسن بن محمد بن الحسن. (١٣٦١). تاريخ قم (المحقق: السيد جلال الدين الطهراني). طهران: توس.
٢١.الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٦٩). أصول الكافي (المترجم: جواد مصطفوي، الطبعة الأولى). طهران: مكتبة الإسلامية.

٢٢.المجلسي، محمد باقر. (١٤٠٣هـ). بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار (الطبعة الثانية). بيروت: مؤسسة الوفاء.
٢٣.محلاتي، ذبيح الله. (١٣٤٩). رياحين الشريعة (في ترجمة عالمات نساء الشيعة). طهران: دار الكتب الإسلامية.
٢٤.المفيد، محمد بن محمد بن النعمان. (١٤١٣هـ). أوائل المقالات في المذاهب والمختارات الشيخ المفيد. قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد.
٢٥.النوبختي، الحسن بن موسى. (١٤٠٤هـ). فرق الشيعة. بيروت: دار الأضواء.